

دراسات إسلامية

# الشدة واللين

في ميزان الحكمة وسنة سيد  
المرسلين

جمعها وأعدّها  
خالد محمد شويل

# الشدة واللين في ميزان الحكمة

## وسنة سيد المرسلين

جمع مادته واعده

خالد محمد شويل

## الفصل الأول

### الحكمة مفهومها ودلالاتها

#### مقدمة

الحكمة وسيلة من وسائل الدعوة، فلا بد أن يكون الداعية حكيماً في تصرفاته؛ حتى لا يكون من قطاع الطرق المنفرين عن الله سبحانه وتعالى و الحكمة تقتضي من الإنسان أن ينوع الأساليب باعتبار المدعويين، وأن يجامل في موضع المجاملة، وأن يجد في موضع الجد، ولا يقول إلا الحق في كل ذلك.

لكن احياناً كثيره تبادر الى أذهان البعض من الدعاة أن الحكمة تعني اللين دائماً فتراه يداهن أصحاب المعاصي ويسكت عن الأخطاء التي لا ينبغي أن يسكت عنها وحجته في ذلك الحكمة تقتضي ذلك , ولقد أصبح كثير من الناس يتصورون أن الحكمة والموعظة الحسنة تعني التريبت

على أخطاء الناس وانحرافاتهم ، وعدم مواجهتهم بها خشية أن ينفروا من الدعوة ولا يستجيبوا لها ! فمن أين جاءوا بهذا الفهم لهذا التوجيه الرباني الكريم ؟ ! و هل هناك من هو أكثر فهماً لهذا التوجيه الكريم من الرسل الذين وجه القول إليهم ؟ فكيف فهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الأمر المنزل إليه من ربه أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ وكيف فهم موسى وهارون عليهما السلام توجيه الله لهما أن يقولوا لفرعون قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ؟

فأما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد صدع بما أمرَ فقالت عنه قريش : لقد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا ، وكفر آباءنا وأجدادنا ! !

وأما موسى وهارون عليهما السلام فقد بدأ بأن قالوا : السلام على من اتبع الهدى ، ولم يقولوا لفرعون : السلام عليك ! وفي ذلك إشارة ملحوظة إلى أن فرعون غير متبع

للهدى ، ثم ثنيا بأن قالاً : (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ) ، وفي ذلك تهديد واضح لفرعون وقومه بالعذاب الذي ينتظرهم إن هم كذبوهما ، وتولوا عن الحق الذي يعرضانه عليهم . وكان هذا هو القول اللين الذي أُمرًا بتوجيهه إلى فرعون . إن التلطف واجب ولكنه التلطف في إظهار الحق ، وليس التلطف في إخفاء الحق . فهذا الأخير هو الذي قال عنه تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم- [ ودوا لوتدهن فيدهنون ]

فليست الحكمة في الدعوة تعني دائماً الضعف، بل الحكمة هي وضع الأمر في موضعه، ولذلك يقول الشاعر: ووضع الندى في موضع السيف بالعلامة مضر كوضع السيف في موضع الندى فوضع الضعف في موضع القوة ليس من الحكمة، ووضع القوة في موضع الضعف ليس من الحكمة، هناك شخص لا يصلح له إلا القوة، والحكمة أن تأخذه بالشدة، وهناك شخص لا يصلح له إلا اللين، والحكمة أن

تأخذه باللين، وهناك وقت لا يصلح له إلا اللين، وهناك وقت آخر لا يصلح له إلا الشدة.

فقد كان - صلى الله عليه وسلم - أحكم البشر وهو أرحمهم . انظر إليه وهو يأمر من نقر صلاته أن يعيدها مرة واثنتين ، وانظر إليه يترك الحسين يرتقي ظهره فيل الصلاة ويزجره عن الأكل من تمر الصدقة ، انظر إليه يوقع صلح الحديبية ، ثم انظر إليه يحل دم من هجا المسلمين ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، انظر إليه وهو يقول : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، إذن فالحكمة لين في مكان اللين وشدة في موضع الشدة .

وكذلك فمن الدعاه ؛ من فقد الفقه- فقه الدعوة إلى الله- وظن أن اللين مداهنة، وأن كل تطف، أو كلمة طيبة، أو خلق حسن مع العاصي أو المخالف، هو مداهنة، ويرى أن كل سكوت مؤقت عن الخطأ - بغية إصلاح ما هو أعظم، أو

انتظار فرصة أفضل، أو التدرج مع المدعويين تمييع،  
ومداهنة.

وهؤلاء؛ فقدوا الحكمة، وخالفوا الشرع، فغلظت قلوبهم،  
وساءت أخلاقهم، وقست عباراتهم مع الناس، فنفروا  
العباد، وأساءوا إلى الدين، وضيعوا كثيراً من المصالح،  
وجلبوا كثيراً من المفساد عليهم، وعلى الدعوة، ولم يكتفوا  
بذلك، بل عابوا على غيرهم حكمتهم، واتهموهم بـ  
( المداهنة ) والـ ( التلون ) لتلطف فعلوه، أو لكلام طيب  
مع العاصي أو المخالف أظهروه، أو لبيان حق لمصلحة  
شرعية أخروه، واحتجوا بعموم النهي عن ذي الوجهين،  
وبعموم الأمر بالصدع بالحق، متغافلين عما أمر الله به من  
الحكمة، وما كان من سيرة رسول الله ؟ في مثل هذه  
المواقف.. من الرفق والكلام الطيب.. وتأخير البيان  
لمصلحة جليلة، وما شابه ذلك، وقد سبق من الأدلة على  
هذا مما يعني عن تكراره.

ونتيجة لخلط الأمور عند بعض الناس والدعاة حول مسألة الحكمة واستدلالهم بقوله تعالى (( أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) عند كل تنازل يقدموه وند كل سكوت عن الباطل يقدموا عليه ولذلك فإننا سوف نقوم في هذا الفصل بتوضيح معنى الحكمة من القرآن الكريم وكذلك اللغة العربية وأقوال العلماء ومن ثم نتطرق إلى تفسير قوله تعالى (( أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) لنخرج بالمفهوم السليم من الحكمة ومدلولها الصحيح

وذلك من خلال عدة مباحث كما يلي :-

**المبحث الأول :-**

**معاني الحكمة في القرآن الكريم :**



ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لعدة معان، فجاء بمعنى القران والسنة وجاء بمعنى التصرف الحسن وقد اختلف المفسرون في تفسير الآيات الواردة بلفظ الحكمة، وسنوضح موجز هذه الأقوال بما يأتي :

1-يقول مقاتل -كما ذكر الرازي - يقول: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه

أحدها: مواعظ القرآن، قال -تعالى- في سورة البقرة،  
الآية : 231: { وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ } (البقرة: من الآية 231) ومثلها في آل عمران.

وثانيهما: الحكمة بمعنى: الفهم والعلم، ومنه قوله - تعالى  
-: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } (مريم: من الآية 12)، وفي  
سورة لقمان (الآية: 12) { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ }  
(لقمان: من الآية 12) يعني: الفهم والعلم، وفي (الأنعام

**الآية : 89): { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ**

**وَالنُّبُوَّةَ { (الأنعام: من الآية 89)**

**ثالثها: الحكمة بمعنى النبوة، ففي النساء 54: { فَقَدْ آتَيْنَا**

**آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ { (النساء: من الآية 54)، وفي**

**(ص 20) { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ { (ص: من**

**الآية 20) وفي البقرة: { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ {**

**(البقرة: من الآية 251**

**ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار، ففي النحل**

**125 { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ { (النحل: من الآية**

**125)، وفي (البقرة 269) { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ**

**خَيْرًا كَثِيرًا { (البقرة: من الآية 269) (1) .**

**2- ويقول الفيروزآبادي : وردت -الحكمة- في القرآن على**

**سته أوجه**

لأول: بمعنى النبوة والرسالة، { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ } (آل عمران: من الآية 48). { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ }  
(ص: من الآية 20) { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } (البقرة:  
من الآية 251). أي: النبوة

الثاني: بمعنى القرآن والتفسير والتأويل، وإصابة  
القول فيه: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ  
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } (البقرة: من الآية 26

الثالث: بمعنى فهم الدقائق والفقهاء في الدين { وَآتَيْنَاهُ  
الْحُكْمَ صَبِيًّا } (مريم: من الآية 12).

الرابع: بمعنى: الوعظ والتذكير { فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } (النساء: من الآية 54). أي: المواعظ  
الحسنة، { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ }  
(الأنعام: من الآية

الخامس: آيات القرآن وأوامره ونواهيه { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } (النحل: من الآية 125).

السادس: بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة، { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } (لقمان: من الآية 12) أي: قولاً يوافق العقل والشرع (1) .

قال الألويسي : وفي (البحر): إن فيها تسعة وعشرين قولاً لأهل العلم، قريب بعضها من بعض، وعد بعضهم الأكثر منها اصطلاحاً واقتصاراً على ما رآه القائل فرداً مهماً من الحكمة، وإلا فهي في الأصل: مصدر من الإحكام، وهو الإتيان في علم أو عمل أو قول أو فيها كلها (2) .

3- أما ابن عاشور فقد قال: وفسرت الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة، أي:

بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض، ولا يغلط في العلل والأسباب (3) .

4- ونختم أقوال المفسرين في الحكمة بما ذكره سيد قطب -رحمه الله- حيث فسر الحكمة بأنها: القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال

هذه خلاصة لأهم أقوال المفسرين في تفسير معنى الحكمة في كتاب الله، تعالى

## المبحث الثاني

الحكمة كما عرفها بعض العلماء

ذكر العلماء العديد التعريفات للحكمة وهي لا تخرج عن معنى التعريفات السابقة، ولكن ذكرها يزيد الأمر وضوحاً، ومن ذلك:

1- قيل: هي وضع الشيء في موضعه

2- وقال ابن القيم : وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك، إنها: معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقهاء في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان.

3- وقال رشيد رضا : الحكمة: العلم الصحيح، الذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع الذي هو الخير

4- قال الرازي : حكم الحكمة والعقل، هو الحكم الصادق المبرأ من الزيغ والخلل، وحكم الحسن والشهوة والنفس توقع الإنسان في البلاء والمحنة

5- قال عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-: (الحكمة: هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور لا تصح إلا بالحكمة التي هي وضع

الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام)

6- يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "إن الشريعة تعبدتنا بالوسائل كما تعبدتنا بالغايات، فليس لك أن تسلك إلى الغاية التي شرعها الله لك إلا الطريق التي جعلها الله وسيلة إليها، والحكمة والسياسة الشرعية معانٍ معتبرة، ولكن في حدود هذه الوسائل المشروعة فقط... ومن الخطأ أن تحسب مبدأ الحكمة في الدعوة إنما شرع من أجل تسهيل العمل الدعوي، أو من أجل تفادي المآسي، بل السر إنما هو سلوك أقرب الوسائل إلى عقول الناس وأفكارهم، ومعنى هذا أنه إذا اختلفت الأحوال وقامت عثرات الصد والعناد دون سبيل الدعوة، فإن الحكمة حينئذ إنما هي إعداد العدة للجهد والتضحية بالنفس والمال، إذ الحكمة هي أن تضع الشيء في مكانه"

7- وقال سيد قطب - رحمه الله -: (القصد والاعتدال وإدراك

العلل والغايات، والبصيرة المستتيرة التي تهديه للصالح

الصائب من الحركات والأعمال)

وأخيراً: لعل خير خلاصة تجمع أغلب هذه المعاني التي

وردت في الحكمة هي أنها: "فعل ما ينبغي على الوجه

الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي". ولناخذ، مثلاً، يوضح

لك:

الأمر بالصلاة، مما ينبغي، والأمر بشرب الخمر، لا ينبغي.

وعلى الوجه الذي ينبغي، فقد يكون -الأمر بالصلاة-

تذكيراً، أو أمراً، أو ضرباً حسب الأحوال . وفي الوقت

الذي ينبغي، وذلك بمراعاة الزمان والمكان، وهذا له عدة

صور وأحوال تجب مراعاتها.

## المبحث الثالث



## المعنى اللغوي للحكمة

1- قال ابن فارس : الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها. والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، والمحكم: المجرب المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة لبيت المحكم والموعوظ صوتكما ... تحت التراب إذا ما الباطل انكشفا أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة .

2- وقال ابن منظور : قيل: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم .

3- وقال الجوهري : الحكم: الحكمة من العلم. وصاحب الحكمة: المتقن للأمور. وقد حكم- بضم الكاف، أي: صار حكيما، قال النمر بن تولب :

وأبغض بغيضك بغضا رويدا ... إذا أنت حاولت أن تحكما

قال الأصمعي : أي: إذا حاولت أن تكون حكيما، والمحكم -

بفتح الكاف- هو الشيخ المجرب، المنسوب إلى الحكمة

4-وقال في (تاج العروس): والحكمة -بالكسر- العدل في

القضاء كالحكم، والحكمة العلم بحقائق الأشياء على ما هي

عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية

وعملية، ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية.

5- وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل. فالحكمة من

الله: معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن

الإنسان: معرفته، وفعل الخيرات.

6-وأحكمه إحكاما: أتقته، ومنه قولهم للرجل إذا كان

حكيما: قد أحكمته التجارب.

7- وأحكمه: منعه من الفساد.

8- وفي (المصباح المنير): الحكمة وزان قصبة للداية،

سميت بذلك؛ لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجراح ونحوه. ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرزال

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الحكمة وأصلها وكلها تدور حول المنع؛ لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم.

وعلية ومما سبق من تعاريف للحكمة في القرآن واللغة واقوال العلماء يتبين أن الحكمة تأتي لمعان كثيرة :

1- ما تضمنه كتاب الله سبحانه وتعالى من الدعوة إلى الإيمان بالله ، وعبادته ، والتزام صراطه المستقيم، ودينه القويم ، فالأخذ بهذا قد أحكم أمره، وعرف طريقه، وبهذا فسر ابن جرير الطبري معنى : [ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ [ [ 125 ] ] سورة النحل . أي : ما تضمنه هذا  
القرآن الكريم.

2- سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت الحكمة  
معطوفة على الكتاب كثيراً في القرآن كما قال تعالى: [ لَقَدْ  
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو  
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [ [ 164 ] ]  
سورة آل عمران.

فالحكمة هنا : هي بيان القرآن الكريم ، وسنة الرسول  
صلى الله عليه وسلم.

3- الحكمة يعنى : وضع الأمور في نصابها، والوصول  
إلى الأهداف المطلوبة بأيسر الطرق ، وأحسنها كما أمر الله  
باللين في الدعوة مع الجبابرة : [ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ  
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى [ [ 44 ] ] سورة طه . وبالشدة في مواطنها  
، كما قال تعالى : [ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

وَاعْظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [ [ 9 ] ] سورة  
التحریم ... وبالعفو ، واللين في مواطنه : [ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ  
اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ  
[ [ 159 ] ] سورة آل عمران.

## المبحث الرابع

تفسير قوله تعالى ادع إلى سبيل ربك  
بالحكمة والموعة الحسنة

- 1- تفسير حومد :- ادع يا محمد قومك إلى سلوك  
طريق الله طريق الحق الذي شرعه الله للناس ، واستعمل  
في دعوتك مع كل واحد منهم الوسيلة الناجعة معه ،  
والطريقة المناسبة ، وجادل أهل الكتاب بالحجة والقول  
اللين ، والعبارة الحسنة التي لا تشوبها قسوة ولا عنف ،  
ليستمر بينك وبينهم الحوار والجدل والنقاش ، فتستطيع

إِقْنَاعَهُمْ بِصِحَّةِ دَعْوَتِكَ ، وَحَمَلِهِمْ عَلَى اتِّبَاعِكَ ، وَاتَّرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَهُمْ لِلَّهِ ، فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَنْ ضَلَّ فَلَا يُفِيدُ مَعَهُ جَدَلٌ وَلَا دَعْوَةٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَنْ صَفَتْ نَفْسُهُ ، وَسَلِمَ تَفْكِيرُهُ ، فَاهْتَدَى وَآمَنَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

2- سيد طنطاوي :- والخطاب في قوله - تعالى -

{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة } للرسول صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه كل مسلم يصلح للدعوة إلى الله - عز وجل - . أى : ادع - أيها الرسول الكريم - الناس إلى سبيل ربك أى : إلى دين ربك وشريعته التى هى شريعة الإسلام { بالحكمة } أى : بالقول المحكم الصحيح الموضح للحق ، المزيل للباطل ، الواقع فى النفس أجمل موقع . وحذف - سبحانه - مفعول الفعل { ادع } للدلالة على التعميم ، أى ، ادع كل من هو أهل للدعوة إلى سبيل ربك . وأضاف - سبحانه - السبيل إليه . للإشارة إلى أنه الطريق الحق ، الذى من سار فيه سعد وفاز ، ومن انحرف عنه شقى

وخسر .وقوله - تعالى - : { والموعظة الحسنة } وسيلة  
ثانية للدعوة إلى الله - تعالى - أي : وادعهم - أيضا - إلى  
سبيل ربك بالأقوال المشتملة على العظات والعبر التي  
ترقق القلوب ، وتهذب النفوس ، وتقتنعهم بصحة ما  
تدعوهم إليه ، وترغبهم في الطاعة لله - تعالى - وترهبهم  
من معصيته - عز وجل - وقوله - تعالى - : { وَجَادِلْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } بيان لوسيلة ثالثة من وسائل الدعوة  
السليمة . أي : وجادل المعاند منهم بالطريقة التي هي  
أحسن الطرق وأجملها ، بأن تكون مجادلتك لهم مبنية على  
حسن الإقناع ، وعلى الرفق واللين وسعة الصدر فإن ذلك  
أبلغ في إطفاء نار غضبهم ، وفي التقليل من عنادهم ، وفي  
إصلاح شأن أنفسهم ، وفي إيمانهم بأنك إنما تريد من وراء  
مجادلتهم ، الوصول إلى الحق دون أي شئ سواه .

3- المنتخب أيها النبي : ادع إلى طريق الحق الذي

شرعه ربك مع قومك ، واسلك في دعوتهم الطريق الذي

يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لقولهم ، وادع عوامهم بما يناسبهم من إيراد المواعظ ، وضرب الأمثال التى توجههم إلى الحق ، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالمنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التى لا يشوبها عنف ولا سباب حتى تتمكن من إقناعهم واستمالتهم . هذا هو الطريق لدعوة الناس إلى الله على اختلاف ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، واترك أمرهم بعد ذلك إلى ربك الذى يعلم من غرق فى الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، من سلم طبعه فاهتدى وآمن بما جئت به

4- ويقول السيد قطب على هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ، ويعين وسائلها وطرائقها ، ويرسم المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر فى دستور الدعوة الذى شرعه الله فى هذا



القرآن . إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله . لا لشخص  
الداعي ولا لقومه . فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي  
واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ، لا على الدعوة ولا على  
من يهتدون به ، وأجره بعد ذلك على الله . والدعوة بالحكمة  
، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذي  
يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق  
بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها ، والطريقة التي  
يخاطبهم بها ، والتنويع في هذه الطريقة حسب  
مقتضياتها . وليس من « الحكمة والموعظة الحسنة »  
إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تأجيله ، لأن الطواغيت في  
الأرض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلنونه! أو يعرضون  
بسببه عن هذا الدين ، أو يكيدون له وللدعاة إليه! فهذا كله  
لا يجوز أن يجعل الدعوة إلى هذا الدين يكتمون شيئاً من  
حقائقه الأساسية أو يؤجلونه؛ ولا أن يبدأوا مثلاً من  
الشعائر والأخلاق والسلوك والتهديب الروحي ، متجنبين

غضب طواغيت الأرض لو بدأوا من إعلان وحدانية  
الألوهية والربوبية ، ومن ثم توحيد الدينونة والطاعة  
والخضوع والاتباع لله وحده! إن هذا هو منهج الحركة  
بهذه العقيدة كما أراد الله سبحانه؛ ومنهج الدعوة إلى الله  
كما سار بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه من  
ربه .

وبذلك نرى الآية الكريمة قد رسمت أقوم طرق الدعوة إلى  
الله تعالى - وعينت أحكم وسائلها ، وأنجعتها في هداية  
النفوس .

إنها تأمر الدعاة في كل زمان ومكان أن تكون دعوتهم إلى  
سبيل الله لا إلى سبيل غيره : إلى طريق الحق لا طريق  
الباطل ، وإنها تأمرهم - أيضا - أن يراعوا في دعوتهم  
أحوال الناس ، وطباعهم ، وسعة مداركهم ، وظروف  
حياتهم ، وتفاوت ثقافتهم . وأن يخاطبوا كل طائفة بالقدر  
الذي تسعه عقولهم ، وبالأسلوب الذي يؤثر في نفوسهم ،

وبالطريقة التي ترضى قلوبهم وعواطفهم . فمن لم يقنعه القول المحكم ، قد تقنعه الموعظة الحسنة ، ومن لم تقنعه الموعظة الحسنة . قد يقنعه الجدل بالتي هي أحسن . وعلية نجد انه لا بد أن ينظر الداعية إلى الأمور نظرة متبصرة على بصيرة وفهم، وفهم الواقع قبل فهم الأدلة الشرعية أمر هام، وهذا الكلام ليس لداعية من دعاة العصر لا والله، بل هو كلام تأصيلي لأئمة السلف، اقرأ أول المجلد الثالث في إعلام الموقعين للإمام ابن القيم ستري كلاماً عجباً يقول ابن القيم : ولا يجوز للمفتي أن يفتي في مسألة من المسائل إلا بعلمين: علم الواقع، وعلم الأدلة الشرعية. علم الواقع لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ثم بعد ذلك يقول: وعلم الأدلة الشرعية. فالفهم - أيها الأحبة- فهم الأدلة ومراتبها، فهم المناطات الخاصة والعامّة، فهم الواقع أو فهم المسألة التي تريد أن تسحب لها دليلاً عاماً أو دليلاً خاصاً، لا بد من الفهم للداعية

ليتحرك إلى الله عز وجل على بصيرة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم -والحديث رواه البخاري من حديث معاوية -: ( من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ) قال الحافظ ابن حجر : يفقهه في الدين أي: يفهمه. فلا بد من الفهم الصحيح والدقيق، لتتحرك لدعوة الله ودينه عز وجل على بصيرة.

إن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تقتصر على الكلام اللين والترغيب والرفق والحلم والعفو والصفح ، بل تشمل جميع الأمور التي عملت بإتقان وإحكام ، وذلك بأن تنزل في منازلها اللائقة بها ، فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في مواضعها ، والموعظة في موضعها ، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها ، ومجادلة الظالم المعاند ، والمستكبر في موضعها ، والزجر والغلظة والقوة في مواضعها ، وكل ذلك بإحكام وإتقان ، ومراعاة لأحوال المدعوين ، والواقع والأزمان والأماكن ، في مختلف

الشدة واللين في ميزان الحكمة وسنة سيد المرسلين ..... خالد شويل

العصور والبلدان ، مع إحسان القصد والرغبة فيما عند  
الكريم المنان .

البقية في الفصول القادمة إنشاء الله